



الأغراض الاجتماعية في أشعار جميل صدقي الزهاوي ومحمد تقي بهار (ملك الشعراء)
- دراسة مقارنة -

A Comparative Study of Social Goals in Jamīl Sedqī al-Zahāwī's and
Mohammad Taghi Bahar's Poetry (Malekosh-Sho'ara)

الدكتورة فاطمة قادري

هدية قاسمي فرد*

الهيئة التعليمية. جامعة يزد. يزد. إيران
ghaderi__m@yazd.ac.ir

طالبة الدكتوراه. جامعة خلیج فارس بوشهر. بوشهر. إيران
hdghasemifard@gmail.com

المعلومات المقال	الملخص
تاريخ الارسال: 2021/10/26 تاريخ القبول: 2022/04/29	إن الأوضاع الاجتماعية والظروف السياسية في المجتمع تؤديان إلى نوع من الأدب يتجلى في الإنتاج الأدبية. بما أن الأدب له علاقة بالمجتمع وقضاياها يتأثر بالبيئة التي يعيش فيها ويبرز ما وقع من القضايا المختلفة. إذا تشابهت هذه الأوضاع في مجتمعين مختلفين أو أكثر فإن الأدب سيتناول موضوعات متشابهة، هذا ما يتيح لدارسي الأدب أن يدرسوا كيف أن المجتمعات المختلفة يجمعها الأدب تحت ظروف اجتماعية واقتصادية متشابهة وكيف تتكون الأفكار المشتركة في المجتمعات المختلفة تاريخياً وجغرافياً. سيتناول هذا البحث بالمنهج الوصفي-التحليلي، الخصائص الفردية للشاعرين الزهاوي وملك الشعراء بهار من شعراء العراق وإيران، وضمن التعريف بشعرهما يبحث عن المضامين الاجتماعية في شعرهما، بعد مزاوله الحياة السياسية والاجتماعية السائدة في عصر الشاعرين معتمداً على المدرسة الفرنسية للأدب المقارن، ليبين أن هذه المشتركات هي نتيجة المشتركات الثقافية والاجتماعية.
الكلمات المفتاحية: الزهاوي بهار الأدب المقارن الأغراض الاجتماعية	
<i>Article info</i>	<i>Abstract</i>
Received 26/10/2021 Accepted 29/04/2022	<i>Social and political conditions in society lead to creating a kind of literature manifested in literary works. Because literature is related to society and its issues, it is influenced by the environment in which it is located and highlights the various issues. If these conditions are similar in two or more different societies, the literature examines the same topics. This allows literary scholars to study how other societies were brought together by literature in similar social and economic contexts and how common ideas were formed historically and geographically in different societies. Via a descriptive-analytical approach, this study examines the personal characteristics of Al-Zahawi and Malekoshi-Sho'ara Bahar's from Iraqi and Iranian poets. French comparative literature seeks social concepts in their poetry to show that these commonalities result from cultural and social commonalities.</i>
:Keywords Al-Zahawi Bahar Comparative Literature Social Goals	

1. مقدمة

إنّ العصر الحالي هو عصر العولمة، أو بمعنى أكثر عموميّة، عصر تقارب الأفكار وتُبعد المسافات. ومن ثمّ، فإنّ القضايا الاجتماعية المشتركة تؤثر في خلق أرضيّة مشتركة للفكر تأثيراً بالغاً. يجعل الأدب المعاصر مبدعي الأعمال الأدبيّة أقرب إلى بعضهم البعض ويخلق قواسم مشتركة مذهلة بين الكاتبين، بسبب هذه العولمة والقضايا المشتركة. حدثت تغييرات واسعة النطاق في الأدب المعاصر، منها: انعكاس الظروف الاجتماعية والسياسيّة والعلميّة والأدبيّة في الشعر والأدب ونقل آراء محدّدة خاصّة من قِبَل الشعراء والأدباء. إنهم قاموا بالنقد والحكم والاحتجاج حسب ظروف العصر والتيارات السياسيّة والاجتماعيّة وحصلوا على نوع من الأدب يسمّى الأدب الاجتماعيّ.

إنّ الزهاوي (1863-1936م) هو يعدّ من أبرز شعراء مدرسة الإحياء في العراق، الذي تمتّع بالحدّثة مع التزامه بالأسلوب القديم. إنّه لعب دوراً مهمّاً في إيقاظ الشعب العراقي، بل العالم العربي بأسره، من خلال إتقان اللغات الأربعة؛ العربيّة والفارسيّة والتركيّة والكرديّة، فضلاً عن تجربته لمشاغل مختلفة. أمّا الشاعر محمد تقي بهار المعروف بملك الشعراء (1265-1330ش)، فهو ابن ملك الشعراء الصبوري، أحد الشخصيات البارزة في الأدب الدستوري الإيراني. كانت قصائد بهار في شبابه محصورة في مناقب الزعماء الدينيين وشيوخ خراسان وراثتهم، لكنّها اكتسبت راحة اجتماعيّة ونبرة احتجاجيّة نضاليّة، بعد انضمامه إلى صفوف الدستوريين. جعل الزهاوي وبهار شعرهما نوعاً من النقد الاجتماعي للوضع الراهن في الوطن، بعد التعرّف على المجتمعات الأوروبيّة والأفكار المنتشرة في الغرب، وقاما بالمؤاخذة على الاستعمار والاستبداد والجهل والخرافات وعدم الاهتمام بحقوق النساء، كما قاما بالدعوة إلى محاربة الفساد السياسي عبر العدالة والحرية.

إذا اعتبرنا للشعر الاجتماعي ضمناً في وعي المجتمع وإصلاحه، فيمكن اعتبار شعر الزهاوي وبهار، من نماذج هذا النوع من الشعر. يمثّل شعر الشاعرين العصر والمشكلات الاجتماعية الراهنة في المجتمع، ويوقظ الناس بلغة وتعبير واضحين. فقد أعطى موقفُ قصائد الشاعرين الاجتماعي مع تاريخ طويل لأحداث البلدين نسبياً وانعكاس هذه الأحداث في قصائدهما بعناصر من النقد والنصيحة، شخصيّة مميّزة للشاعرين في الأدب. يهدف هذا البحث معالجة أوضاع زمن الشاعرين وتأثير الظروف الاجتماعية على أفكارهما. هذا بالإضافة إلى أنّ نقد الأغراض الاجتماعية في قصائدهما وتحليلها يشكّل هدفاً آخرًا لهذا البحث. وبما أنّ أصل الزهاوي يعود إلى أكراد إيران، فقد أتاح ذلك الفرصة اللازمة للتعرف على الشعراء الإيرانيين، وخاصة بهار. لهذا السبب، فإنّ دراسة قصائد هذين الشاعرين ممكن في إطار المدرسة الفرنسيّة للأدب المقارن مما يؤكد التأثير التاريخي بين الأدبين المختلفين.

1.1. أسئلة البحث

يهدف هذا المقال إلى دراسة الأغراض الاجتماعية في تجربة الزهاوي وبهار ويعالج هذين السؤالين:

1. كيف أثرت الظروف الاجتماعية السائدة في عصر الشاعرين على أفكارهما؟

2. ما الأغراض التي تتشكّل مضامين القصائد الاجتماعية للزهاوي وبهار؟

2. التحليل والمناقشة

أصبحت العلاقة الحالية بين الأدب والمجتمع أكثر وضوحاً بسبب التغيرات التي طرأت في المجتمع البشري حتى الآن. يتوقع المجتمع في هذه الفترة ألا يكون الأدب غير مبالٍ بالأحداث الاجتماعية وأن يكرس أعماله للقضايا الاجتماعية لكي تكون ملفتة للانتباه. لم يستطع الزهاوي وملك الشعراء بهار، اللذين كانا عضواً في هذا المجتمع، أن ينسحبا عن المجتمع ويغادرانه بل خلقا قصائد كثيرة عن المجتمع ومشاكله.

1.2. الحرية

عاش شعبي العراق وإيران في ظلّ الأنظمة الاستبدادية لسنوات دون أي حرية. أصبح الشعبين العراقي والإيراني على دراية بمفهوم الحرية بتأثير الثورة الفرنسية، وتم الاهتمام بأنواع مختلفة من الحرية، مثل الحرية الشخصية والمدنية والسياسية. «تم استخدام هذه الكلمة في الأدب القديم ضد الجبر، ولكن يتم فحصها الآن من حيث علاقة الفرد بالسلطة الحاكمة والمجتمع أو علاقة الأفراد ببعضهم البعض في الأدب.»¹ «كانت هذه الفكرة في الواقع نتيجة لسلسلة من العوامل الاقتصادية والسياسية، واضطهاد الأنظمة الاستبدادية طيلة العصور، وانعكاس الآلام والمعاناة التي كانت سائدة بين الناس المحرومين في المجتمع. وهذه الفكرة أنشأت نظاماً جديداً قائماً على الحقوق والحرّيات الفردية.»² يعتقد لطفي السيد، كاتب مصري شهير، «أن ظروف المجتمع المؤسفة ترجع إلى سبب أساسي وهو الافتقار المروع للحرية التي أوجدها الاستبداد.»³ كانت الحرية مرادفة للإرادة والخيار في مصطلح القدماء، وهو ما يذكر بالمفهوم المعاكس وهو الجبر، لكن تعني الحرية في شعر هذين الشعارين، أنّ البشرية خلقت متحررة بطبيعتها ولا أحد يستحق أن يسلب حرّيتها وقدمها للآخرين. إذن فالناس لديهم حقوق وحرّيات، فردياً واجتماعياً. لكن لا يذكر كلا الشعارين هذا المعنى في شعرهما بصراحة، بل يتحدثان عن الآثار الإيجابية للحرية في المجتمع.

استخدم هذان الشعاران كلمة الحرية في شعرهما بجرأة، وهي التي تعني التشكيك في كلّ ما يقف أمام حرية الإنسان. وبما أنّ المثل الأعلى للحرية هو انعكاس لمعاناة وآلام جميع الطبقات الاجتماعية، فإنّ الهدف الأول للشاعرين عن الحرية هو التحرر من الاستبداد، لأنّ العنصر الأول الذي يخلق مفهوم الحرية، يكون عدم الاستبداد. لكن ظهرت مظاهر الحرية المثلى في شعر الشعارين شيئاً فشيئاً، وهي حرية الفكر والتعبير والصحافة، فحدّد هذان الشعاران بعض جوانب الحرية. يطالب الزهاوي الظالمين بالكف عن اضطهاد الناس لأنّ هؤلاء الأحرار مثل البراكين التي ستحرق الظالمين بلهبها:

لا تُحارب بظلمك الأحراراً

أيُّها المستبد في الأمر إيهاً

¹ قاسم، بنول، (2004م)، تطور الفكر النقدي الأدبي في العراق (منذ نشأته في العصر الحديث إلى الحرب العالمية الثانية)، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ص 141.

² طباطبائي مؤقني، منوچهر، (1370ش)، آزاديهاي عمومي و حقوق بشر، طهران، انتشارات جامعة طهران، ص 175.

³ عبدالملك، انور، (1384ش)، اندیشه سياسي عرب در دوره معاصر، ترجمة أحمد مؤقني، قم، انتشارات جامعة مفيد، ص 208.

إحذر الشعب إنّه بركان	مطمئنّ وقد يجيءُ إنفجاراً ¹
-----------------------	--

ينتقد بهار مثل الزهاوي استبداد الحكام ويصف الحالة الحرجة في البلاد. لكنّ على عكس الزهاوي، فهو لا يحاول بث الخوف في نفوس الظالمين، ويتركز عمله على التعبير عن الحزن:

باشهايرانز آزادی سخن گفتن	كار ايران با خداست ²
خطاست	

الترجمة: إنّ الحديث عن الحرّية يكون عملاً خطيئاً لناس إيران، فإلى الله عاقبة إيران.

إنّ الناس في شعر الزهاوي وبهار نائمون غير مباليين لا يرقون بنداء الحرّية. لقد اعتادوا على الوضع الحالي ولا يقدرّون على تغييره. يدعو الزهاوي من خلال لوم الناس على عدم اعترافهم الصحيح بالحرّية، إلى قيام حركة ثوريّة وتحرّية من جانبهم لإعادة البلاد إلى المكانة التي تستحقها. فهكذا يحاول توفير منصة مناسبة لتوسيع الحرّية من خلال الدعوة إلى النضال:

إنّهم من أوهامهم في اسار	ولقد لا يرضيهم التحرير ³
لا يرفعُ الوطن العزيزُ سوى امرىء	حر على الوطن العزيز يغار ⁴

أمّا بهار فيكفي بإدانة الذين لا يفهمون معنى الحرّية ولا يشجعهم المسارات التي تؤدي إلى الحرّية:

بهارا بیش از این در گوش ملت	مزن گلبانگ آزادی كه خفته است ⁵
-----------------------------	---

الترجمة: يا بهار! لا تصرخ في آذان الأمة أكثر من هذا، لأنّ الحرّية فيهم نائمة كامنة.

يتماشى مفهوم الحرّية في شعر الشاعرين مع استقلال البلاد. إنّهما يعتقدان أنّه إذا حصل الوطن على الاستقلال، تزدهر الحرّية. ينتقد الزهاوي بشدة واقع المجتمع العراقي الذي يتعارض مع استقلال البلاد ويعتقد أنّ حرّية التعبير من الركائز الأساسية للحرّية في البلاد:

قالوا استقلوا ثم سدّوا	الصحفَ واعتقلوا الحراراً ⁶
------------------------	---------------------------------------

يعتزم بهار إعطاء صورة رسميّة لاستقلال البلاد وتوفير الحرّية أيضاً بمساعدة القانون. إنّهُ يضع حدوداً معينة للحرّية حتّى لا تختلط بالفوضى. يبدو أنّ رؤية بهار للحرّية فلسفيّة إلى حدّ ما ولديها إطار أكثر دقّة وتماسكاً مع مزيد من المعرفة والوعي:

آزاد بزى ولى نگر تا نشود	آزادی تو رهزن آزادی ما ¹
--------------------------	-------------------------------------

¹ الزهاوي، جميل صدقي، (1972م)، ديوان، مج 1، بيروت، دار العودة، صص 84-83.

² بهار، محمد تقّي، (1368ش)، ديوان، مج 1، طهران، ص 141.

³ الزهاوي، ديوان، مج 1، ص 717.

⁴ المصدر نفسه، ص 240.

⁵ بهار، ديوان، مج 2، ص 1163.

⁶ الزهاوي، ديوان، مج 1، ص 528.

الترجمة: كن حرّاً طليقاً وعش بحريّة، ولكن احذر من أن تسلب حرّيّتك حرّيّتنا. يدعو بحار جميع الناس إلى العيش معاً بحريّة، ولكنّ يجب أن تكون هذه الحرّيّة بحيث لا تحرم الآخرين من حرّيّتهم بانتهاك حقوقهم. هذا التفسير هو نفس مفهوم شعر الزهاوي الذي يبدو أنّ بعض الناس أرادوا حرّيّة واستقلال البلاد، لكنّهم بإغلاق الصحف واعتقال المناضلين انتهكوا حقوقهم.

2.2. محاربة الخرافات والعادات والتقاليد غير الصحيحة

إنّ المعتقدات هي أحد مكوّنات الثقافة تكون صحيحة ومبنية على أسس مثبتة غالباً، ولكنّ البعض منها تم قبوله من قبل الناس عبر التاريخ بلا أساس وبدون سبب، وهي التي تسمّى الخرافات. «الخرافات هي تلك المعتقدات التي لا يمكن الدفاع عنها علمياً وتجريبياً ويمكن أن توفر فرصاً للمجتمع للتحرّك أو التوقف حول قضية معينة.»² إنّ الخرافات والعادات القديمة طغت على المجتمعين العراقيّ والإيرانيّ في القرن التاسع عشر. لم يقتصر الإيمان بالأوهام والأكاذيب والسحر على الطبقة العامّة، بل أثر ذلك على بعض الخريجين. يتمتّع الزهاوي وبهار بشخصيّة تحرّكت متزامنةً مع عصرهما وكرهت الخرافات والتقاليد الباطلة وقامت على محاربتهما.

لا يوجد خطأ في القرآن، لكنّ التفسيرات الخاطئة أحياناً تتغير معنى الأوامر الدينيّة؛ لذلك هناك معارضة لهذه المجموعة من الخرافات في شعر الزهاوي، التي اتخذت صبغة دينيّة وتغلّغت في الناس، وإذا عارض أيّ شخص مثل هذه الأوهام، فسيلعن ويحرّم:

لَمْ يَكُنْ فِي الْكِتَابِ مِنْ خَطَا	كَلَا، وَلَكِنْ قَدْ أَخْطَأَ التَّفْسِيرِ ³
---------------------------------------	---

في قصائد بحار، غالباً ما ترتبط الخرافات بالمعتقدات الدينيّة. لأنّه في مجتمع يعتبر فيه المتطرفون الدينيون أي تقدم مخالف لدين الإسلام، ويتصرف الناس بشكل غير صحيح مع المفاهيم الخاطئة حول حدث عاشوراء؛ من الواضح أنّ معظم الخرافات لها لون ديني:

كشتهشد شاه شهيدان تا شما گيريد بنيد	پيش ظالم پافشارى يکه و تنها کنيد
خودکشی باشد قمه بر سر زدن، آن تيغ تيز ⁴	بر سر دشمن زنيده و خویش را احيا کنيد ⁵

1 بحار، ديوان، مج 2، ص 1293.

2 صالحى اميرى، رضا، (1388ش)، جامعه‌شناسى خرافات در ايران، طهران، انتشارات مجمع تشخيص مصلحت نظام، ص 9.

3 الزهاوي، ديوان، مج 1، ص 720.

4 من العادات والتقاليد الخرافية لدى بعض الشيعة في عزاء الإمام الحسين (عليه السلام) أنّهم من خلال حرج جسددهم وضرّهم على رأسهم بأدوات المختلفة، ينوون التعاطف مع إمامهم.

5 بحار، ديوان، مج 1، ص 429.

الترجمة: قُتل ملك الشهداء الإمام الحسين (عليه السلام) حتى تأخذوا النصيحة وتعلموا أنه لا بدّ من الإصرار والمقاومة أمام الظالم وحيداً. إنّ الانتحار هو ضربة في الرأس بالساطور، فاضربوا تلك الشفرة الحادة على العدو وأحيوا أنفسكم.

ينتقد بهار سوء الفهم لدى بعض الشيعة بشأن حادثة عاشوراء، الذين بدلاً من التعلم من هذه الحادثة ومواجهة ضيم الظالمين يؤذون أجسادهم بأدوات حادة. يعتبر بهار هذه السلوكات خرافة. يفتخر الزهاوي بنفسه بأنه ابتعد دائماً عن الخرافات:

أما الخرافة فهي ما	عنه أفرّ وأنفر ¹
--------------------	-----------------------------

إنّ الزهاوي لا يكره الخرافات فحسب، بل يهرب منها. يُظهر هذان الفعلان أي "أفرّ وأنفر" تركيزه على محاولة تجنب الخرافات.

على الرغم من أنّ بهار لا يعبر عن هذه القضية علانية، ولكنّه يعبر بطريقة ما عن اشمئزازه بهذا الموضوع للقارئ، من خلال السخرية من المتدينين المتطرفين الذين وفقاً لمعتقداتهم، يعتبرون الصحفيين مستحقين للجحيم:

آنكسكهروزنامه نويساستوجيز فهم	آشفتنه بهدف تروكل كو بناناو
باشديقي نما كه بهدوز خرو د بهار	زيرا به حقا ما وتو بدشد گماناو ²

الترجمة: يجب أن تسقط نار الفتنة على الصحفي وكتابه وقلمه تماماً. نحن على يقين من أنّ بهار سيذهب إلى الجحيم لأننا نظن أنّ بهار أساء إلينا وإليك.

يطلب بهار من الناس، استخراج التوجيه الصحيح والهداية الحقيقة من نصوص القرآن والنأي بأنفسهم عن الخرافات. لكنّ الزهاوي لا يقدم حلاً للقضاء على الخرافات في المجتمع. إنّه يدين الخرافات والتعصب الأعمى فقط:

قرآن اگر نماندی در پرده افول	صد آفتاب نور گرفتی ز ماه ما ³
------------------------------	--

الترجمة: إذا لم يكن لديك القرآن في حجاب الانحطاط، لقد تلقيت مائة من أشعة الشمس من قمرنا.

3.2. الفقر

لا شكّ في أنّ الفقر والبطالة وسوء الأحوال المعيشية كانت من أهمّ مشاكل المجتمعين الإيرانيّ والعراقيّ في القرنين التاسع عشر والعشرين للميلاد. «نظراً إلى أنّ مصدر معظم الفساد الأخلاقي يرجع إلى عدم التوازن في توزيع الثروة العالمية، فيمكن اعتبار جذر كلّ هذه الاضطرابات في فلسفة الفقر.»⁴ لقد عارض كلا الشاعرين الفقر بشكل صريح ودافعا عن حقوق الضعفاء والفقراء بدراسة منطق الفقر.

¹ الزهاوي، ديوان، مج 1، ص 72.

² بهار، ديوان، مج 1، ص 429.

³ المصدر نفسه، ص 232.

⁴ آدميت، فريدون، (1355ش)، ايدئولوزي نخصت مشروطيت إيران، مج 1، طهران، انتشارات بيام، ص 275.

هدیه قاسمی فرد / د. فاطمة قادري

يحاول كلا الشعارين رسم صورة حزينة في الكون من خلال تصوير حياة الأطفال الفقراء ومعاناتهم وإثارة تعاطف المستمع. كما يصف الزهاوي وجوه الأيتام بالحزن والاكتئاب؛ الوجوه التي لا تستطيع الكلام بسبب الحزن:

نظر في اليأس يبكي ووجه	في تقاطيعه الشقاء مجسم
أنها تشكو بثها بعيون	ملؤهن الاسى ولا تتكلم ¹

على عكس الزهاوي، الذي يصور صراحةً حزن الأطفال الفقراء، يشبه بهار الطفل الفقير الذي كان يجوب الشوارع من الصباح إلى الليل للحصول على قطعة خبز بكلب يبحث عن طعام من الصباح حتى الليل وكلاهما بلا مأوى لأن هذان البائسان التقيان تحت جدار في نهاية الليل:

سگ دویده روز تا شب از شمال و از جنوب	خورده مسکین پاره های سنگ و ضربت های چوب
استخوان خشک هم یخ بسته زیر خاکروب	آن یتیم بی پدر هم پرسه کرده تا غروب
آخر شب این دو بدبخت نژند	زیر دیواری به یکدیگر رسانند ²

الترجمة: كان الكلب يركض ليلاً ونهاراً من الشمال ومن الجنوب، فإنّ البائس ضربَ بقطع الحجر وضربات الخشب. تمّ تجميد العظم الجاف تحت الأنقاض، وظلّ هذا اليتيم يتجول حتى غروب الشمس. وفي نهاية الليل التقى هذان البائسان تحت جدار.

يعتبر الزهاوي وبهار العمّال والفلاحين، الطبقة المعاناة في المجتمع. تأخذ صاحب العمل أو المالك جميع الأرباح من أنشطتهم وهم أنفسهم يرضون بريح ضئيل. يعتقد الزهاوي أنّ العماليجب ألا يقبلوا دائماً الظلم؛ بل يمكن لهم أن يهلكوا كلّ الأغنياء الظالمين، ويردّوا حقوقهم:

ماذا الذي أحفظ العمال فاغتصبوا	إني لأسمع عن بُعد لهم لَعَطاً ³
--------------------------------	--

لكنّ بهار، على عكس الزهاوي، يشير فقط إلى هذا القمع الصارخ دون الدعوة إلى الانتفاضة:

كارفرماز پرخوری رنـجور	کارگر شد گرسنه جانب گور ⁴
------------------------	--------------------------------------

الترجمة: يعاني صاحب العمل من الإفراط في الأكل والعامل الجائع يموت من الجوع.

إنّ هذا الوصف الحقيقي لمعاناة هذه الطبقات، المعاناة التي يولدها المجتمع، يجعل آثار الزهاوي وبهار أقرب إلى المشاعر والأفكار اليقظة. يعتبر الشاعران أنّ الحكومة والملوك مفتنونون بجمع الثروة الهائلة نظراً إلى الظروف السائدة على المجتمع، وينسبون إليهم فقر الناس وعجزهم. يحث الزهاوي الأرامل على عدم الشعور بالخجل من الفقر لأنّ الحكومة قد أوجدت هذه الظروف الصعبة لهم:

أرملة الجندي لا تخجلي فمن	حقوق العلى أنّ الحكومة تخجل ¹
---------------------------	--

¹ الزهاوي، ديوان، مج 1، ص 618.

² بهار، ديوان، مج 1، ص 437.

³ الزهاوي، ديوان، مج 1، ص 74.

⁴ بهار، ديوان، مج 2، ص 886.

ينتقد بهار مثل الزهاوي، فقر وبؤس الناس بسبب ظلم الحكام؛ أولئك الذين جعلوا الحياة لا تطاق للناس من خلال جمع ثروات غير مشروعة:

مملكت مفلس و آكده ز زر مخزن شاه	مرغ بريان به سر خوان لئيمي وانگاه
---------------------------------	-----------------------------------

بهر ناني دل يك طايفه بريان تا چند؟²

الترجمة: البلد فقير وخزان الملك مليء بالذهب. يوجد الدجاج المشوي على مائدة الأشخاص الشرسة والديئة، وإلى متى يجب أن يشوى قلب قبيلة بقطعة من الخبز؟
لقد عالج بهار قضية الفقر في المجتمع أكثر من الزهاوي وتفحصها من أبعاد مختلفة. يبدو أنّ الحياة الماليّة المريحة بسبب الوظائف والمناصب الحكوميّة، جعلت الزهاوي غير قادر على فهم معاناة الفقراء رغم أنّ بهار عاش حياة بسيطة دائماً ولم يلتق راتباً ثابتاً قطّ، فهو دائماً في السجن والمنفى. ومن هنا تظهر حياة الشاعر بهار الشخصيّة وفقره وحاجته في شعره بجلاء، والتي يتمّ التعبير عنها بإخلاص وعاطفة. كما يصف بهار في قصيدة وضعها الاقتصادي السيء ليلة العيد، عندما لا تتمكن من شراء المستلزمات المنزليّة والملابس لأطفالها والخدمة:

شب نوروز و كيسه خالی	خرج بسيار و همست عالی
بچه ها لخت و لخت كلفتها	باغبان لخت و پيشخدمتها ³

الترجمة: إنّها ليلة نيروز والحقيبة فارغة، إنّ الكلفة كثيرة والطموح عالية. إنّ الأطفال والنوادل والخدمة والبستانيّين كلّهم عراة.

يعترف الزهاوي نفسه هذه الحقيقة بأنّ الفقراء هم قادرون على فهم حزن المساكين فقط:

لا يعلم الغرثان في آلامه	إلاّ الذي هو مثله غرثان ⁴
--------------------------	--------------------------------------

ومع ذلك، يتمّ تناول قضية الصراع الطبقي بعاطفة حقيقيّة في قصائد الزهاوي. يصوّر الشاعران المجتمع على أنّه غير متجانس، لأنّه هناك فجوة اجتماعيّة واقتصاديّة عميقة بين الطبقات الاجتماعيّة بالإضافة إلى التناقضات الداخليّة؛ فجوة جعلت هذين الشعارين يحتجّان على أنّ معظم الناس فقراء ومعدمون ولا يعيش سوى عدد قليل من الأثرياء؛ لذا يقارن الزهاوي أكواخ الفقراء بقصور الأغنياء العالية:

¹ الزهاوي، ديوان، مج 1، ص 96.

² بهار، ديوان، مج 2، ص 517.

³ المصدر نفسه، ص 835.

⁴ الزهاوي، ديوان، مج 1، ص 51.

الحكومة من جهة، والتوسع السريع في التواصل في القرن التاسع عشر بشكل ظهور التلغراف والسكك الحديدية والبواخر وصناعة الطباعة ورحلة آلاف الإيرانيين لأول مرة خارج إيران من جهة أخرى»¹
ينعكس موضوع التقدم في شعر الزهاوي وبهار في أربعة محاور:

1- إدانة التخلف وعودة المجد الماضي

2- الدعوة إلى التقدم

3- الدعوة إلى الصحة

4- الدعوة إلى التصحيح

يعتقد بهار أنّ الإصلاح في إيران غير ممكن مع وجود الأجانب:

آن روز باخت این وطن پا برهنه سر	كاینجا نهاد اجنبی سر برهنه پای ²
---------------------------------	---

الترجمة: دمر هذا الوطن المسكين منذ يوم وطأ الأجانب أقدامهم فيه.

لكنّه لا يجهل دور الشعب في خلق هذا التخلف ويلقي باللوم على الشعب الإيراني لقبوله الظروف غير المواتية:

جان گر به لب ما رسد، از غیر ننالیم	باکس نسگالیم
از خویش بنالیم که جان سخن اینجاست	ازماست که بر ماست ³

الترجمة: إذا وصلت الروح إلى شفاهنا، لا نشكو من أحد ولا نتشاجر مع أحد. فنشكو من أنفسنا فهذه هي روح الكلام والغرض منه. فكلّ بلاء يصيبنا ينشأ من أنفسنا.

لكنّ الزهاوي يرى أنّ وجود المستعمرين البريطانيين واعد للإصلاح والتنمية في العراق وينسب سبب تخلف العراق إلى الشعب حسب:

وإنّا نزلنا بمنحدر	وهم طففوا يصعدون الآكاما ⁴
--------------------	---------------------------------------

يدعو الشاعران الناس إلى استعادة الكرامة المفقودة بجهودهم، مع التهنّيدات والأسف والشفقة على المجد المفقود وعظمة بلادهم القديمة. يكون الاهتمام المستمر بالماضي تعويضاً عن ذلك الجزء من التراث الثقافي الذي كان يضعف بسبب التخلف؛ كما يأسف الزهاوي للوضع الحالي في العراق، مستذكراً أيام بغداد المجيدة، فيحث الناس على إحياء مجد الماضي بكلّ قوتهم بلا كلل والمضي قدماً:

¹ زيبا كلام، صادق، (لا تا)، سنت و مدرنيته، طهران، انتشارات روزنه، ص 231.

² بهار، ديوان، مج 1، ص 771.

³ المصدر نفسه، ص 781.

⁴ الزهاوي، ديوان، مج 1، ص 641.

هدیه قاسمی فرد / د. فاطمة قادری

سَتَعُودُ بَعْدَ كَمَا	كَانَتْ بِأَعْرَاسِهَا الْخَوَالِي
وَتَعُودُ أَيَّامِي بِهَا	وَتَعُودُ هَاتِيكَ اللَّيَالِي
يَا قَوْمَ أَنْتُمْ أُمَّةٌ	لَا تَسْتَقِرُّ عَلَى السَّفَالِ
فَالِي الْأَمَامِ إِلَى الْأَمَامِ	بَلَا تَوَانٍ أَوْ مَلَالٍ ¹

كما يوبخ بهار جهل وارتباك الشعب الإيراني ويدعوه إلى تذكر ماضيه المجيد والتقدم نحوه:

آخر ای ایرانی تا به کی نادانی	تا چند سرگردانی
باری باری بر خود کن نظری	داد از این در بدری آه از این بی خبری
عزت تو جلالت و شجاعتت کو؟	جلال تاریخی و آن برش شمشیر تو کو؟ ²

الترجمة: أيها الإيراني! إلى متى أنت في الجهل و إلى متى تتجول؟ أنظر إلى نفسك، يا صاح من هذا التشرد ويا ويه من هذا الجهل. أين شرفك و مجدك و شجاعتك؟ أين مجدك التاريخي و سيفك القاطع؟

إنّ الزهاوي، يعتقد بثقة جديرة بالثناء أنّ الشعب العراقي يمكنه استعادة مجده المفقود:

فَنَحْنُ نَبْنِي بِهَا الْيَوْمَ	مَجَدْنَا مِنْ جَدِيدٍ
لَيْسَ الْقَعُودُ عَنِ السَّعْيِ	لِلْعُلَى بِحَمِيدٍ ³

ومع ذلك، يعتبر بهار تصحيح تحلّف البلاد أمراً صعباً إلا إذا تترك الأمة كلّ العادات السيئة وتريد التقدم في كلّ أمور الحياة لتكون فتية من الرأس إلى أخمص القدمين:

بِالْجَمَلِ مَحَالَسْتُ كَهْ مَشَاطَهْتِ دَبِيرِ	از چهره اینپیر برد چینوش کنرا
جَزْ آنْ كَه سَرَاپایِ جَوَانْ گَرْدَدِ و جَوید	در وادی اصلاح ره تازه شـدَن را ⁴

¹ المصدر نفسه، صص 241-242.

² بهار، دیوان، مج 2، ص 1320.

³ الزهاوي، دیوان، مج 1، ص 338.

⁴ بهار، دیوان، مج 1، ص 810.

الترجمة: من المستحيل على مستحضرات التجميل إزالة التجاعيد من وجه هذا الرجل العجوز. إلا أن يصبح شاباً من الرأس إلى أخمص القدمين ويبحث عن طريق التحديث في صحراء التصحيح.
مع ذلك، يعتقد كلا الشاعرين أنّ الأمم يمكن أن تتحرك نحو الازدهار من خلال الاعتماد على نفسها وعلى ماضيها المجيد.

3. الخاتمة

ينظر الشعراء إلى المجتمع من منظور مختلف، مستوحين من أحداث العصر ومتطلّباته ولا يمكن لهم أن يكونوا غير مبالين بالأحداث الاجتماعية؛ لذلك تكون التطوّرات والإنجازات الاجتماعية هي المحور الرئيس للشعر في هذا العصر، فيختار الشعراء الأفكار الموجودة في المجتمعات. كان الزهاوي وبهار من الطبقات الاجتماعية النشيطة والديناميكية واستطاع نقل أفكارها الجديدة إلى جسد المجتمع. صوّر الشاعران ديناميكيات وتناقضات في مختلف جوانب المجتمع في قصائدهما. في الواقع، جعل هذان الشاعران اللذان كانا نتاج صحة المجتمع، انعكاس متطلبات الأمة محطّ تركيز جهودهما. عندما يتحدّث هذان الشاعران عن الجوّ الاجتماعي الحالي، يخلقان عملاً قيماً للدراسات الاجتماعية مثل أي شاعر حقيقي آخر. هذا ما يتبيّن أنّ الشاعرين لهما صلة حقيقية من الناحية الاجتماعية بعصرهما، ويقدم لنا بعض الحقائق المفيدة. يتمنّى هذان الشاعران سدّ الفجوة الموجودة بين الناس والتقدّم دائماً، ولكن بما أنّ الواقع الخارجي للمجتمع لا يسمح لهما بذلك، فإنّهما يعودان إلى الداخل ويحاولان تحقيق هذه الرغبة بقصائدهما. لا يسعى الشاعران إلى الدمار، بل يريدان إعادة بناء المجتمع بالتحذير والإعلام. ومن ثمّ، يضعان رسالتهم الأدبية في التعبير عن موضوعات مثل الحرية والفقر والتقدّم والإصلاح والنضال ضدّ الخرافات، والتّيتّم تناولها في شعرهما من خلال وجهات نظر متشابهة وأحياناً مختلفة. إنّ المنهج الاستدلالي للشاعرين هو تفتيح ظلام القبح. إنّهما يقفان ضدّ أيّ تشاؤم تاريخي ويؤمنان بقوة الكلمة وسلطة الكلام. يُعتبر السبب الرئيس للمشاكل الاجتماعية في شعر الشاعرين، عدم كفاءة الحكومة بسبب سوء الإدارة والتجاوزات والعادات السيئة للناس. يُشعر بنوع من التسارع لحلّ مشاكل المجتمع وتقدّم العراق في شعر الزهاوي؛ لذلك شعره صاحب ومنتقم، كلّما يشعر بخيبة الأمل من التسوية والاتفاقية، يقاتل ويكافح. لكن بهار، رغم أنّه ينتقد مشاكل المجتمع وتأخذ قصائده أحياناً نبرة حادة، غالباً ما تكون قصائده معتدلة في الصراعات الاجتماعية وتدعو الناس إلى التحلّي بالصبر.

قائمة المصادر والمراجع

1. آدميت، فريدون، (1355ش)، ايدئولوزي نهضت مشروطيت إيران، مج 1، طهران، انتشارات بيام.
2. بهار، محمد تقي، (1368ش)، ديوان، مجلدان، طهران، طوس.

3. الزهاوي، جميل صدقي، (1972م)، ديوان، مج 1، بيروت، دار العودة.
4. زيباكلام، صادق، (لا تا)، سنت و مدرنيته، طهران، انتشارات روزنه.
5. صالحی امیري، رضا، (1388ش)، جامعه‌شناسي خرافات در ایران، طهران، انتشارات مجمع تشخيص مصلحت نظام.
6. طباطبائي مؤتمني، منوچهر، (1370ش)، آزادي‌هاي عمومي و حقوق بشر، طهران، انتشارات جامعة طهران.
7. عبدالملك، انور، (1384ش)، اندیشه سياسي عرب در دوره معاصر، ترجمة أحمد موثقي، قم، انتشارات جامعة مفيد.
8. قاسم، بتول، (2004م)، تطور الفكر النقدي الأدبي في العراق (منذ نشأته في العصر الحديث وإلى الحرب العالمية الثانية)، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة.
9. لوين، ز.ا.، (1378ش)، اندیشه‌ها و جنبش‌هاي نوین سياسي اجتماعي در جهان عرب، ترجمة يوسف عزيزي بني طرف، طهران، شرکت انتشارات علمي و فرهنگي.
10. الوردی، علي، (1965م)، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، بغداد، مطبعة العاني.